

أدب الرحلة عند المغاربة والأندلسيين

في القرن الثامن للهجرة

عبد العزيز بومهرة

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة قلمة

- الملخص:

أصبحت الرحلة باتجاه المشرق عنصراً ملازماً للشخصية المغربية في القرن الثامن للهجرة. وكانت هذه الرحلة دينية علمية أدبية، ولكن المغاربة المولعين بالرحلة مارسوها داخل بلادهم أيضاً. واختلفت أهدافهم باختلاف الدوافع، فهناك من سعى إلى العلم ولقاء المشيخة، وهناك من انساح في المغرب فراراً من بطش السلطان، وتأملاً في الطبيعة وزيارة لمقابر الأولياء والسلطين وكبار الكتاب للاعتبار كما فعل ابن الخطيب في "نفاضة الجراب"، وهناك من صحب السلطان في إحدى خرجاته يتفقد البلاد، فقدّم لنا صورة عن كلّ ما شاهد وتلقّى من رسائل وقصائد، كما فعل التحاني وابن الخطيب. وهذا الفن برز فيه المغاربة والأندلسيون بلا منازع.

يعدّ القرن الثامن للهجرة من أزهى عهود الرحلات في الأدب المغربي والأندلسي من حيث التنوع والكمّ، ولو أنّها لا تدخل جميعاً ضمن النثر الوصفي، ولا سيما بعض كتب (البرامج).

دواعي الرحلة ومتاعبها: تضافرت دوافع قوية أدّت بالمغاربة إلى الانسياح في البراري والبحار متجهين شرقاً، والحقّ أنّ الدافع الديني كان أقوى العوامل التي جعلتهم ييمون وجوههم شطر المشرق حيث تتجمع كلّ الخيوط التي تشدّ أفئدتهم، وعلى رأسها البقاع المقدّسة؛ مكّة حيث المسجد الحرام والكعبة الشريفة، وغيرهما من المزارات الكبرى التي يتزاحم عليها المسلمون من كلّ أصقاع الدنيا، ثمّ المدينة المنورة

حيث قرر الرسول صلى الله عليه وسلم وفيره، وغيرهما من الأماكن التي تجمع فيها الصحابة، ووطقتها أقدامهم، بالإضافة إلى المواقع التاريخية التي حسم فيها المسلمون أمر رسالتهم، ثم إنه متفهم الوحيد بعد أن ضيق عليهم النصارى الخناق من كل صوب، فهم إليه يلجئون وبه يلوذون ويعتصمون. وهو بالإضافة إلى كل ذلك مهوى أفئدة طلاب العلم من المغاربة والأندلسيين، يتطلعون إليه استراحة في التعليم، وخاصة بعدما يستكملون الأخذ عن مشيخة المنطقة. وهذا أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي أحد الرحالة الأندلسيين يستفتح رحلته بحمد الله الذي فرض الحج على من استطاع، ثم يثني بطلب العلم. فهي إذا رحلة حجارية كما قرر الكاتب نفسه، وقد وضعها خصيصاً لضبط مواردنا؛ أي تنسيق مادتها وتنظيمها... وذكر معاهد الوجهة الشرقية...)). لقد كان المشرق دائماً يعني بالنسبة للمغاربة قيمة علمية كبرى، ولكنه قبل ذلك قيمة دينية أكبر. ولذلك فهم يرحلون لإشباع مكبوتات مشاعرهم، وإررا أجاج عواطفهم، ومن يتاح له ذلك لا يؤثر نفسه بمتعة المشاهدة والزيارة، ولقاء العلماء، فيشارك مواطنيه في تحسس المتعة، والتزود بالفائدة عن طريق كتابة ما عرض له، في أسفار سميت بكتب الرحلات، فالأهمية جاءت - إذاً - من الطابع الأسطوري الذي يشعر به المغاربة نحو المشرق، ولذلك لم تغفل أيامهم من واسطة تصلهم به سواء أكان عبر كتاب أم ركب حج يعود منه أم هدية يتبادلها سلطانهم مع سلاطين مصر وأمراء مكة.

ويبدو أن الفائدة التي جنتها مدينة تونس من هذه الرحلات، فاقت بها كل مدن المغرب والأندلس - التي مر بها الرحالة - لما تتمتع به من موقع حسن يؤمه أولئك الرحالة عند صدورهم وعند ورودهم.

ولم يخل هذا الوله بشدة الرحال نحو المشرق من متاعب وعوائق تثنى عرائم أشد الرجال وأصلبهم، ولكن إيمان المغاربة بقدسية الحواضر التي تدفعهم إلى الرحلة كانت دائماً ذخراً لا يفنى. فقد أشارت جميع الرحلات تقريباً إلى هذه الصعوبات سواء كانت إشارات احترازية كما رأينا ذلك في رحلة ابن بطوطة عند مغادرته مدينة

بونة(1)، أو خوض معركة مريرة ضدّ عصابة من قطاع الطريق، كما رأينا ذلك في رحلة البلوى، ومن غريب المصادفات أنّ المكان الذي تخوّف منه ابن بطّوطة حين تجنّب الخروج مع قافلة التجّار، وفضّل ترك مدينة بونة مع بعض أصحابه بسرعة، خشية تعرّض اللصوص لهم بأحوازها، هو المكان عينه الذي سيخوض فيه "البلوى" معركةً ضاريةً معهم، فقد خرجت القافلة من بونة وأخذت تبعوس جلاً وعر المسلك. وقد وصف البلوى حالة قبيل هذه الحادثة فقال: "نكتنف الفرع ونلتحف الجزع، إلى أن جزمنا عوامله بالخدف، ومنعتنا علته من الصّرف، وأسفر لنا وجهه العبوس، وحياّه الذي في مشاهدته البوس، عن قطعة من العرب كقطع الليل، حملت علينا حمل السّيل، فكان زوال كلّ ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب أنفه.."(3). وهذه الظاهرة كانت سائدةً في ذلك العهد، وهي نتيجة للأوضاع السياسيّة المضطربة في المنطقة، والفتن التي تنهش العلاقات بين الجماعات والدّول هنا وهناك؛ ممّا جعل قوافل الحجّ تتعرّض لهجمات قطاع الطّرق من الأعراب الذين عرفوا بخروجهم عن طاعة الدّولة الحفصيّة، ولعلّ قمّة الفرع الذي نال من الكاتب الرّحالة، كلّ رباطة جأشه حين وجد نفسه وسط جبل وعر المسالك، يمثّلها لجوءه إلى التّورية، فأصبح أشبه ما يكون بحرف العلة المحذوف في الفعل المجزوم، وأضحى هذا الجبل علةً تمنعه من الانصراف نحو طريقه، تماماً مثلما هو حال المتنوع من الصّرف، وكأنّما عبوس الجبل ووعورته كانا إشارتي نحس تشاءم الكاتب منهما، إذ أنّه هوجم في أثناء اجتيازده، ونهب متاعه ولم ينبج إلّا بشقّ النّفس.

وسوف تتغير المواجهة بين الرّحالة وهؤلاء اللصوص، فيكتسب خبرة في الطعان، فقد ذكر أنّه بينما كان بأحواز الجزائر، وهو عائد من رحلته تعرضت له عصابة من اللصوص، فدارت بين الفريقين معركة حامية دامت حتى غروب الشّمس، فرّ إثرها اللصوص من دون تحقيق رغباتهم(9). ولم تكن عوائق الطّريق لتقتصر على اللصوص فحسب، بل إنّ عوامل الطّبيعة أيضاً تتدخّل لتعيق الرّحلة، وتثني العزيمة عن المضى

فيها، فقد كاد "البلوى" يغرق في نهر مجرّدة قبل وصوله إلى تونس لولا إيقانه للسباحة، بينما غرق أكثر صحبه في القافلة (10).

وقد انجرت عن هذه المصائب توتر حاد في نفسيّة الرّحالة، وانقباض شديد في مشاعره، ممّا حدا به إلى نعت الوادي بأوصاف مبالغ فيها، وتفسير تسميته بصورة اعتباطية كما سترى بعد قليل.

ومن مظاهر الانقباض أيضاً، أنّ الرّحالة كلّما أصاب راحة في بند نزل به، أصابته اللّوعة عند وداعه، ومن ذلك قول البلوى وهو يغادر بجاية: "...ففارقت الصّبر عند مفارقة تلك المنازع، وودعت الجلد عند وداعي لذلك المسجد الجامع..." (11). والحقيقة أنّ الكلمات تكاد تصرخ مصرّحة بما يبرح الرّحالة، فمشاعره يتركها حيث نزعته إلى العلماء والأدباء الذين اجتمع شمله حين جمعه بهم المسجد الجامع، وهما هو أوان الرّحيل يشرخ ما نزعته إليه نفسه وما تجمع حوله شتاته في غربته المختارة، ولا بدّ له من مغادرة بجاية، كما سيفادر كلّ مدينة في طريقه الطّويّة.

وواضح أنّه لولا ثبات الرّحالة أمام هذه العوائق المادّية والروحيّة، لعاد أدراجه من منتصف الطّريق كما يفعل كثيرون. وقد ذكر التحاني في رحلته أنّ ابن شيرين (12) جاء إلى تونس في مطلع القرن برسم التّوجه إلى الحجّ "... فلم يقض له ذلك فأقام بتونس مدّة ثمّ ارتحل عنها عائداً إلى وطنه سبّته..." (13). ولا شكّ في أنّ أمثاله كثير، هذا إذا استثنينا من أقعدته المصاعب عن التحرك مع أنّه يعلن نيّته في التّوجه إلى الحجّ باستمرار، كما حدث مثلاً مع ابن الخطيب في أخريات أيّامه.

هذه نماذج لما يمكن أن يعيق الرّحالة كما أوردناه من هنا وهناك، محاولين التّمثيل لما يواجه الرّحالة في طريقه إلى الحجّ، وأمام هذه المصاعب فإنّ الرّحالة لا يترك وسيلة إلّا وجربها، ولا يملك موهبة أو علماً إلّا واستفاد منه، فهو عندما يتزلّ ببلد ما يشرع في إتيان أموره التي يتقنها، ومن هنا رأينا الرّحالة الفقيه، والرّحالة الطّبيب، والرّحالة القاضي، والرّحالة الكاتب، إلى غير ذلك من المهارات التي يذكر بعضها "أرنيس".

رنان" (14) عند حديثه عن ابن بطّوطة، فالرحالة العربي يمارس مهنته كلما أمكنه ذلك.

وأما الرحلات الداخلية فإنّها أهون قليلاً، خاصّة إذا كانت داخل قطر، وصحبة الموكب السلطاني، ذلك أنّ الرحلات داخل المغرب كلّ لم تغل هي الأخرى من مصاعب، ولدينا قصّة ابن قنفذ، حين غادر تلمسان عائداً إلى وطنه قسنطينة فقد ودّع بالدعاء والبكاء واستقبل بالتعجب لنجاته (15)، فقد شهر عن المنطقة في ذلك الحين كثرة قطاع الطرق بها، فما كان منه سوى الاقتناع بستر الولي "أبي مدين شعيب" وعدّ ذلك من كراماته بسبب تضرعه إليه قبيل السفر.

أنواع الرحلات: تنوّعت رحلات المغاربة والأندلسيين كثيراً، فهم مرة يصحبون موكب السلطان داخل القطر الواحد مثلما رأينا في "خطرة الطيف" (16) لابن الخطيب، و"رحلة التجاني" التونسي. ففي الأولى تفقّد ابن الخطيب صحبة سلطانه معظم المدن الأندلسية، ووقف على أحوالها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وفي الثانية رافق التجاني شيخ الموحدين ابن اللحياني في زيارته لجنوب البلاد حتى طرابلس. وفي الإطار نفسه رحل ابن الخطيب أيضاً داخل المغرب المريني، وجاب مدنه الجنوبية وصولاً إلى جبل هنتاته، وترك لنا في ذلك رحلة ضمنها كتابه "نفاضة الجراب" مسجلاً لنا مشاهداته ولقاءاته. وأشمل منها رحلة القسنطيني (17) "أنس الفقير وعزّ الحقيّر" - إلا أنّها تتسم بطابع الزيارة لأضرحة الأولياء ولقاء الصالحين الأحياء فهي "رحلة زيارية" أوصلته إلى فاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى، وقد قضى هناك نحواً من عشرين سنة، وشبيهة بها رحلة أبي إسحاق النميري "فيض العباب" (18) التي أوصلته كما في عنوانها إلى قسنطينة والزاب ولكنها تمت صحبة ركب السلطان أبي عنان من فاس إلى أفريقية طمعا في تكرار عملية والده (19) وللكتاب نفسه أوراق من رحلة قام بها ركب السلطان أبي الحسن المريني سنة خمس وأربعين وسبعمائة إلى شمال البلاد وجنوبها (20).

وأما الرحلة الحجازية فهي تلك التي يضعها الرحالة بعد زيارته للمشرق برسم الحج وطلب العلم، وهي لا تخلو من تعريج على دمشق وبيت المقدس، وأحياناً بغداد. وأما القاهرة والإسكندرية فهما بوابتا المشرق كما هي تونس بؤابة المغرب لمن يريده من المشاركة لا مفر من دخونهما ثم إنهما ركنان أساسيان لمن رغب في طلب العلم ولقاء المشيخة، إذ أن سوق العلم بهما كانت نافقة.

وفي هذا المجال سجل لنا ابن رشيد رحلته الشهيرة "ملء العيبة" (21) بكل مجلداتها الضخمة الفخمة، وما تضمنته من معلومات أدبية جلية الفائدة، كما كتب أبو البقاء خالد البلوى رحلته "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" وحفلت هي الأخرى بمشاهداته، وتراجمه للعلماء الذين لقيهم. وأما رحلة ابن بطوطة فهي غنية عن التعريف بما جمعت من غث (22) وثمين في غيبته الطويلة عبر أرجاء العالم الإسلامي المختلفة، فهو شيخ الرحالة بلا منازع، كما أن لدينا رحلة أخرى لأبي القاسم التيجي التي لم يبق منها سوى الجزء الذي يسجل وجوده بمصر والحجاز، وهي "مستفاد الرحلة والاعتراب"، ومع أن الباحث يستطيع استدراك بعض الأمور من خلال "برناجه" إلا أن ذلك لا يفي بالموضوع. وأخيراً فيما هو معلوم حتى الآن رحلة العالم العلامة الكبير ابن خلدون إلى المغرب والأندلس ثم إلى المشرق؛ مصر الحجاز والشام، وهي "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً" (23).

مضمون أدب الرحلة : تطلعنا الرحلات على أحوال البلاد التي يمر بها الرحالة من مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. أما الحالة الثقافية، فقد كانت إحدى الأمور الرئيسية التي سعوا إلى طلبها، فالتقوا العلماء ودرسوا عليهم، وطلبوا منهم الإجازة، وعادوا بعلم غزير، ومن هنا اتسمت الرحلة دائماً بالترعة التعليمية، ذلك أن وجودهم بالمشرق فرصة لا تعوز، فكان إصرارهم واضحاً على الالتصاق بعلماء المشرق قصد الاستفادة والمتعة، ومن أجل هذا لم تخل أية رحلة من هذا التوجه بل أن بعض الرحالة أبدوا اهتماماً رئيساً، وطاغياً على جميع جوانب الرحلة الأخرى بتسجيل هذه اللقاءات، والترجمة للعلماء والشيوخ الذين درسوا عليهم وأجازوهم،

وهم أقطاب العلماء في العالم الإسلامي آنذاك، مثلما جاء في رحلات ابن رشيد، والتجبي والبلوى وابن قنفذ القسنطيني.

ويبدو أن وراء هذا الاتجاه العلمي سيطرة واضحة للترعة الدينية على الرحالة، وإذا ما استثنينا تلك العبارات الدينية التي تملأ الرحلات، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فإن الاتجاه العام لرحلة مثل "أنس الفقير وعزّ الحفير" لابن قنفذ تمثل في التشييع بالأفكار الصوفية، والسعي إلى زيارة أضرحة الأولياء والترجمة للمتصوفة والفقهاء الأحياء؛ مما يؤكد انتشار الترعة الدينية المقصودة أحيانا في أدب الرحلة خلال القرن الثامن، كما أن ابن رشيد والتجبي من بعده يركزان كثيرا على الاهتمام بالحديث رواية ودراية، فتبعوا أسانيده، ووصلوا إلى أعلاها. ولا غرو أن تعدّ رحلة ابن رشيد إحدى مصادر الحديث في الأدب المغربي (24)، ولم تكن رحلة ابن بطوطة خلوا من هذا الاتجاه الديني (25)، على الرغم من عموميتها. وإذا كانت هذه الرحلات قد عنيت بالترجمة لرجال الحديث، وغيرهم من الفقهاء والأدباء، فإننا نقف أمام تطلع جديد تسجله رحلة ابن خلدون "التعريف" وهي الاهتمام بالحديث السياسي ورجاله نظرا لاختلاف كبير في التطلعات بينه وبين غيره من رجالة عصره، ففي حين عونا بتسجيل أحوال البلاد بعاداتها وتقاليدها ووصفوا طبيعتها ومدنها، اتجه ابن خلدون اتجاها آخر، فقصر اهتمامه أو كاد على تطلعاته السياسية، وظلّ متقلبا بين الدول بحثا عن المنصب والجاه، وكلما أحسّ بخيبة أمل شدّ الرّحال إلى أن يمس تماما من تحقيق طموحه السياسي في المغرب، بل وشعر بقبضة خصومه تضيق من حول عنقه فتطارح على صاحب تونس يستأذنه في الرحلة إلى الحج، والحقيقة أن حياته في مصر لم تكن بعيدة عن الفتن التي لاقاها في المغرب والأندلس، فكان يهرب منها إلى الحجاز مرة، والشّام مرة أخرى. وظلّت رحلته تسجّل غمطا واحدا من الطّموح السياسي إلى سنين قريبة من وفاته، ولكنها إلى جانب ذلك حفلت بألوان أدبية مختلفة، شأنها في ذلك شأن أغلب الرحلات وخاصة رحلات ابن رشيد والتجبي والتجاني، والبلوى وابن الخطيب، فكتبوا رسائل الود التي تبادلوها مع

أصحابهم(26) واحتفلوا بذكر أشعار مختلفة، وخاصة في مدح السلطان(27)، كما تداولوا قصائد ومقطوعات من الشعر فيما بينهم لأدباء مغاربة ومشاركة(28)، أو تبادلوا مع أهلهم وأصحابهم قصائد الشوق والحنين(29). كما لاحظنا نفثا كثيرة من الشعر العربي مبثوثة هنا وهناك في هذه الرحلات، تناسب موقفا وجد الرحالة نفسه فيه، أو تعبر عن لسان حاله، وتنطق بما عجز عنه فتمثل به.

ولم تكن رحلات العلماء المغاربة إلى المشرق وعودتهم منها مقتصرة على هذا النوع من الترابط والتواصل بين شقي العالم الإسلامي، ولكنهم كثيرا ما كانوا يصحبون الكتب من جهة إلى أخرى. ففي رحلة ابن خلدون، يعلن ابن الخطيب عن وصول كتاب ابن أبي حجلة "ديوان الصباية" إلى غرناطة، ثم يذكر أن سلطانه يرغب في معارضة الكتاب، فعرضه بكتاب أعجب به الأصحاب(30) وأرسل إلى المشرق.

الرحالة والسلطان:

لم تكن الرحلة بعيدة عما يجري في بلاط السلطان كما يبدو عليها لأول وهلة، بل إن الرحالة حاولوا دائما الاتصال بالسلطان، وتعاملوا معه كل من مستوى طموحه الشخصي، ولكننا مع ذلك نجد أنه يهمل تماما فيما نظن لدى ابن رشيد، بينما يناسب أعلام رحلة ابن قنفذ إلا قليلا منهم سلطاتهم العداء، بل ونفروا أحيانا من المتقربين منه. وتتضح هذه العلاقة تبعا لمقومات شخصية الرحالة الثقافية والاجتماعية، فحين يتعلق الأمر بابن رشيد والتحيي فإننا لا نخطئ بأكثر من شغف زائد بالعلماء والأدباء، ولا سيما المحدثين؛ ترجمة لهم وتلق عنهم واستجازة منهم. وهكذا فإن التشيع بالثقافة الدينية حصن هذين الأديين عن أن يقيما كبير وزن للسلطان ومن ثم مدحه، وأما ابن قنفذ فإنه لم يعتمد تحبب السلطان وبلاطه، إلا أن رحلته حفلت بأعلام كثيرين صرحوا بنفورهم من السلطان وحببه(31). وقد أورد لنا قصة طريقة لموقف المتصرف الكبير أبي زيد عبدالرحمن الهزميري(32) من حصار تلمسان على أيدي السلطان المريني في بداية القرن الثامن، فقد قدم عليه المتصوف وهو قابع خارج المدينة منذ حوالي ست سنوات، ليكفه عن أذى المسلمين المحاصرين

وخاصة بعدما ضاقت بهم سبل العيش، فأصبحت الدجاجة بعشرة دنانير من الذهب، وأضحى الفأر من قوتهم يباع بثمن معتبر، لكن السلطان لم يقبل تدخله، فرجع غضبا واعتكف بجماع الصابرين احتجاجا، وما هي إلا أيام حتى قتل السلطان وأفرج عن المدينة وسكانها، ويشير الكاتب إلى كرامات الشيخ وأثرها في نهاية السلطان (33)، ويختلف الأمر اختلافا بينا حين نقرأ رحلة ابن بطوطة، فالرجل لم يؤث ثقافة معينة تمكن الباحث من تصنيفه، إذ أنه ليس أكثر من شاب نال حظا من الثقافة الأولية، تملكه حب الاستطلاع والاكتشاف، بحيث تحدوه الرغبة في تغيير وجهة رحلته من الحج إلى الانسياح في أرجاء العالم المختلفة، خرج منها برحلة حررها له الكاتب الكبير ابن جزى الكلبي، فتحول صاحب الرحلة إلى راوٍ يعلّي على الكاتب ما توارده عليه من أفكار، مما جعله عرضة لإطلاق مبالغات، وخرافات فتدها كثير من الأعلام المعاصرين له، أو الذين جاءوا من بعده مما أشرنا إليه منذ قليل. وقد اتصل في رحلته بسلاطين معظم المدن التي مرّ بها وحين التقى أبا عنان أخيرا، حامله بحاملة ثقيلة (34) تنبئ عن أن صاحبها مستعدّ لنضخيم أي أمر أو تلوينه بأي لون متى وجد ذلك ضروريا، وتقدّم نموذجاً على تعامله مع السلطان. يقول بصدد التحدّث عن العرش المريني: "...وجزاهم أفضل الجزاء عن الإسلام والمسلمين وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين." (35) ومن الغريب أن يتهافت ابن بطوطة في تزلفه إلى سلطان فاس فيكرّر الدّعاء نفسه في نهاية الرّحلة: "رضي الله عنهم أجمعين، وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدّين" (36) فقد يتقبّل المرء دعاءه بمجازاتهم عن أعمال ربّما يراها صاحبها جديرة بالتّواب، لكننا لا نرى أيّ جدوى أو مصداقية لبقاء الملك في ذريتهم إلى يوم الدّين، كما يتمنّى الرحالة، فهم ليسوا في كلّ الأحوال بأفضل من عروش سبقتهم إلى الأعمال الخيرة، وسبقتهم كذلك إلى الفناء. وإنّ الباحث ليصاب بخيبة أمل في هذا الرجل، ففي الحين الذي كان ينتظر منه بعد هذه الرحلة الطويلة والبعيدة أن يخرج برأي سديد ناضج نراه يخرج على الناس بمثل هذا الهرف، إلّا أننا لا نستطيع نفي المعلومات المفيدة، والأوصاف الشائقة التي حفلت بها الرحلة.

وإذا ما حاولنا استطلاع رأي أبي البقاء خالد بن عيسى النبوى من الأمر، فإننا لا نجد يقف بعيدا عن ابن بطوطة ذلك أنه يمتلك حيننا إلى الانحناء، واستعدادا كبيرا للتعامل بشوق مع أي مظهر سلطاني، فقد وقف ببلاط أبي يحيى بكر صاحب تونس بمدحه بقصيدتين من نظمه يقول: "...فلما فرغت منهما قبلت يده، وانصرفت إلى منزلي فما وصلت حتى وصل من نعمه، أرضاه الله، من الملابس الحسان، والمواهب والإحسان ما أوجب الشكر بكل لسان، وأغنائي مدة عن شكوى الزمان." (37) وهذه الفقرة تضع أيدينا على أمرين: أولهما نوعية التعامل الذي تسجله بتصوير الرحالة وهو ينحني لتقبيل يد السلطان العادل المثقف كما كان قد صور له لنا (38). وثانيهما أن هذه الصورة قد بدت كأنما نحن أمام مواطن بسيط يقدم فروض الطاعة وواجب الولاء لإمبراطور طاغية، ولكننا إزاء ذلك نخطئ بمعلومات ذات فائدة كبيرة. فالتذمر المرير الذي أبداه بعض الكتاب من شح السلاطين، خاصة في فاس وغرناطة (39) يقابله هنا كرم وسخاء، وتبدو قيمة هذه اللفتة من أبي يحيى حين يكون الرحالة في حاجة ماسة إليها، فهي ستعفيه مدة عن الطلب، وبممكننا أن نتصور استغناء فقير واكتفاء محتاج ولو لأيام معدودات، وماذا سيتج عنه ؟ ستراد يتقدم خطوة إلى الأمام في انحنائه للسلطان، وإذا كان قد قبل يده في المرة الأولى، فإنه في هذه المرة يقبل الأرض بين يديه شكرا له وثناء عليه (40). فتأمل كيف يزيد العوز من انحناء الناس إلى السلطان، وهو مع ذلك ليس بالأمر الجديد في هذا البلاط، أو ذاك من بلاطات دول المغرب. وحين يمضي في طريق عودته يتوقف بقسنطينة حيث ابن السلطان أميرا عليها، فيقدم لنا وصفا احتفاليا لموكب الأمير حين خرج إلى الصلاة صبيحة العيد منذ خروجه إلى أن وصل إلى المسجد يحف به الجند والفوارس كما تحف بالقمر النجوم، وقد اصطف الناس على حفا في الطريق يبادلون أميرهم التحية، ويرفعون له الدعاء وينشرون عليه الثناء (41) وهي صورة قديمة ما تزال حية إلى يومنا. وقد أسهم بعد ذلك صاحبه هناك أبو إسحاق النميري (764). الذي كان كاتباً للأمير الآف الذكر، في تقديم صورة لموكب السلطان أبي عنان وهو يتقدم جيشه الزاحف على

قسنطينة في الرحلة المذكورة آنفا "فيض الصباب" حيث اهتم بوصف ترتيب فرق الجيش بسلاحها وشاراتها، وأبدى احتفالا كبيرا بوصف هودج السلطان أبي عنان الذي كان أفخم الهودج وأضخمها(42).

وإذا كان تعامل هؤلاء الرحالة ميلا آسرا وانقيادا بريئا وراء أهمية الملك، بما تمثل من إغراءات، فإن ابن خلدون الذي بدأ رحلته بهروب من السلطان الحفصي فيه من الخدمة واللوم ما يرفع من شأن الغاية التي ارتحل من أجلها إلى المغرب المريني، إنما سعيه وراء شيوخه الذين غادروا تونس بعد هزيمة أبي الحسن المشهورة، إنه يولي ظهوره للمنصب السياسي الذي وليه بتونس مقابل تحصيل العلم(43) ولكن هذا الطالب الشغوف بحب العلم لا يلبث أن يتوَلَّد فيه الحافز السياسي فيبدأ مؤامراته مع أنه حاول نفيها حين سعى لتوطيد علاقاته بصاحب بحاية الحفصي المنفي إلى فاس من قبل أبي عنان، الذي ما لبثت أنباء هذه الاتصالات أن وصلتته وهو على فراش مرضه، فأمر بسجن ابن خلدون(44). وبهذا يحتدم الصراع بين ابن خلدون والسلطان ليذكي في نفسه طموحه السياسية، وتطلعه إلى منصب في الدولة. وحين تضطرب الأمور داخل البيت المريني، نراه يغوص عميقا في المؤامرات السياسية التي كان يحيك خيوطها بالاشتراك مع صاحبه ابن مرزوق لصالح أبي سالم بن أبي الحسن. ويتولى بعد نجاحها مباشرة منصبا في البلاط، لكنه يدخل بعد ذلك في صراع مع ابن مرزوق(45) مما يعجل برحيله. وهذا أمر يدعو إلى النظر والتأمل في المآل الذي آلت إليه حال الأدباء في ذلك العهد؛ فإنه لا يروقهم سوى المشاركة في الحكم، وكثيرا ما نتج عن ذلك تنافس حاد فيما بينهم؛ فتحاسدوا وتباغضوا ودسوا لبعضهم بعضا. بيد أن ابن خلدون كان يتمتع بخدر متناه في علاقته بالسلطان؛ فحين يحس باختلال سلطته في البلاط يسارع إلى طلب الرحلة؛ حدث ذلك وهو في فاس، ثم وهو بغرناطة حين أحس بغيرة ابن الخطيب رجل الدولة هناك، ثم في تونس حين فرَّ بجملده من ابن عرفة وجماعته، فنذر بالتوجه إلى الحج وهو في الحقيقة يعيد قراءة التاريخ، ويفيد من

تجارب أصحابه وبخاصة محنة ابن الخطيب. إنه لا يحس بالأمان والطمأنينة في هذه المنطقة، فالقتل أقرب وسيلة لحل الخلافات في دنيا السياسة المغربية. ولعل هذا الطموح الجامح إلى "الرئاسة السلطانية" يمثل المستوغ الحقيقية لكل تلك المغامرات السياسية التي خاضها أو شارك فيها طوال حياته في المغرب، ولكنه على الرغم من شدة طموحه السياسي، تمتع بقدر كبير من الحذر والتعلق في علاقه بالسلطان (46)، وتبدو مظاهر حذره من نهاية مفاجئة على يد السلطان، حين رفض العمل عند أبي حمو موسى الزياني بسبب عجزه عن الثبات في ملكه (47)، وأفسح المجال لأخيه أبي زكرياء (48). ثم موقفه المشين من الأحداث التي جرت بين صاحبي قسنطينة وبجاية؛ حين تخلى عن صاحبه المشار إليه آنفاً، صاحب بجاية، وركن إلى صاحب قسنطينة ثم فرّ إلى بسكرة (49)، كما أن هناك مواقف كثيرة حسبت على ابن خلدون في علاقته بالسلطان حين ارتحل إلى مشرق؛ وخاصة في موقفه من هجمة تيمور لNK وعلاقته به. هذه المواقف كلّها تنمّ عن اقتناع معين في علاقته بالسلطان؛ تعتمد المكر والدهاء في الوصول إلى غرضه؛ فإن لم يتمكن فيهما معاً أيضاً يتخلّص منه. ومنذ الوهلة الأولى لدخوله حلبة الصراع في المغرب كان واضحاً أن هذا التوزع بين "المنصب السلطاني" والرئاسة العلمية غير متكافئ، ومهما حاول التعلل بطغيان الظروف السياسية على تفرغه للعلم، فإنه أكثر نشاطاً وحيوية تجاه الأحداث السياسية يتفاعل معها بعفوية، ويفغوص فيها من دون تردد، وكما كان ينتشي حين يحظى بمعاملة فيها من أبهة السلطان أكثر مما فيها من وقار العلم، ومن هنا عدّ استقباله الحافل في بجاية يوماً مشهوداً (50). إنه بهذا التطلّع يعبر عن صراع باطني بين مطامحه السياسية وحياته، فهو حين يصدّم في هذا الطموح ينكفي إلى العلم. ثم لا يلبث أن يعاوده الحنين إلى ممارسة السياسة مرة أخرى (51).

والحقيقة أن عالماً فذاً مثل ابن خلدون لم يكن يرضى بالعيش على هامش الأحداث السياسية التي كانت تعصف يومئذ بالمغرب والأندلس، وكأنما رأى أن من يتولون شؤون الدول ليسوا بأفضل منه، ولذلك كانت نفسه "مزاجاً معقداً بين حبّ

السلطان يتجلى في ممارسة السياسة، وحبّ العلم والتماس المعرفة، ومكابدة الدرس، لا يكاد يهدأ بينهما، أو لا يكاد يتمكن من الاستقرار في واحد منهما، فهو موزّع دائما بينهما..." (52). ولقد كان لهذا التوزع بين العلم والسياسة أثر في ظهور رحلته أقرب ما تكون إلى تسجيل واقع حي ومتحرك، مميّزة بالصدق والفائدة المتعددة الجوانب، تلاقحت فيها ألوان شتى من الأجناس الأدبية، على الرغم مما ذهب إليه بعض الكتاب من أنّ ابن خلدون قصّر في الحديث عن رحلاته (53)، والواقع أنّ هذا الرأي لا يثير العجب لأنّ الناس تعودوا على مقاس واحد للرحلة هو المقاس البطوطي نسبة لابن بطوطة بما حوى من أخبار وقصص تثير الغرابة وتبعث على العجب، فيه الخرافة وفيه الشعوذة، فإذا جاءهم رحلة مثل التي أخرجها ابن خلدون تنهض بالواقع السياسي والعلمي لما يقرب من قرن من الزمن في المغرب والأندلس خاصة، عدّوا ذلك من قبيل الافتراء على ابن بطوطة، أو ليست عصارة ما شاهد الرجل من أحداث فيها الغرابة، كما فيها ما يشبه الخرافة كذلك؟ أو ليست وصفا للأحداث والأعلام الذين التقاهم في رحلته سواء رجال سياسة أم رجال علم؟.

بقي لدينا ابن الخطيب، لم ندرجه بعد ضمن هذا الحديث عن العلاقة بين الأدب والسياسة من خلال أدب الرحلة، لأنه طرف رئيس في الموضوع، شغف بالسياسة فسلمته مقاليدها لكنها في النهاية رحلته لكي لا يعود. وهو بدوره لم ينس فضلها عليه فحملها على كتفه وارتحل. هذه هي الحقيقة، إنّ محنة ابن الخطيب كانت الحدّ الذي فصل بين الازدهار والانحدار في السياسة المغربية والأندلسية على السواء، ولا غرو بعد ذلك أن فقدت الحياة في شتى نواحيها بريقها الأخاذ، فقد آذن ليلها بالحلّك، ولذلك بدا لي أنّ العلاقة ربّما لا تستقيم حين يصبح الرحالة هو الخصم وهو الحكم ثمّ إنّ الرجل حظي باهتمام كبير فوضعت عنه الرسائل والدراسات الكثيرة، ليس أولها كتاب "نفع الطيّب" ولا آخرها ما ورد في ثنايا هذا البحث من إشارات عنه وعن أدبه.

وبعد، فهذه نماذج من التعامل بين الرحالة والسُلطان ارتأيت أن أقدمها لتأمل الصورة التي قدمها لون أدبي عظيم الأهمية في ذلك العهد على الأقل وبالتأكيد، فإن الدراسة ليست معيبة بكل الرحلات في هذا المجال وإنما اعتنت بتقديم النماذج الأكثر دلالة في الموضوع.

- بنية الرحلة : رأينا إذا أهمية رحلات في القرن الثامن، وتميزه عن غيره من العهود الأدبية في هذا الجنس الأدبي، بحيث تتجمع في هذا العهد وعلى أطرافه أهم الرحلات وأشهرها في الأدب العربي. ولا شك في أن بيتها كانت من الأمور التي زادت في رونقها وإقبال القراء والمثقفين على قراءتها والعناية بدراستها. وقد اختلفت مضمونات الرحلات وتوَعّت موضوعاتها، فهناك الرحلة العلمية المحضة وهناك التي تجمع بين العلم والحج وهي السمة الغالبة على الرحلات في هذا العهد، وهناك أيضا الرحلة التي اهتمت بالجانب الديني كثيرا، فجمعت بين الحج والاهتمام بالدراسات الدينية كالحديث والفقه، فسعى أصحابها إلى جمع السند الصحيح العالي، فدرسه على رواته وقارنوا بين الروايات والأسناد، حتى وصلوا إلى غرضهم، كما أن هناك من جمع بين الحج والفسحة والاكتشاف، ومن الرحلات ما خرج عن هذا الاتجاه تماما، فاهتمّ أولا بتسجيل الأحداث السياسية ووصفها. وكان الحج وطلب العلم غرضين ثانويين أمام ما كان يرومه صاحبها من الحصول على المنصب السياسي، ومنها ما كان مرافقة لأمير أو سلطان في تفقده لنواحي الدولة أو غزوة للدولة مجاورة. هذه المضمونات المتنوعة لها من دون شك تأثير في بنية الرحلة.

- بنية الرحلة العلمية الحجازية: يشترك ابن رشيد والتجيني والبلوي في الجمع بين الغرض العلمي ويتجلى في السعي إلى ملاقات العلماء والأخذ عنهم، والغرض الديني الذي يتمثل في أداء فريضة الحج، وفيما أغرقت رحلة ابن رشيد والتجيني على الأرجح في الاتجاه إلى تقوية سند الأدبيين في الحديث، توخّت رحلة البلوي الاقتصاد في ذلك، إذ أقبل صاحبها على طلب العلم والأدب بصورة شاملة، وسنمّثل به لأنه يشملهما أيضا، ولتعذر الحصول على صورة كاملة لـ"ملء العيبة" و"مستفاد الرحلة

والاغتراب". فالأولى كما عرفنا سابقا قيد الطبع، والثانية ناقصة (54). ومع ذلك سنلجأ إليهما كلما رأينا ذلك متاحا.

يستهل أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى رحلته "تاج المرفق في تحلية علماء المشرق" بحمد الله الذي فرض الحج على من استطاع، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، ثم يذكر أسباب الرحلة ودواعيها، فيحدد ذلك بقوله: "...إني خرجت قاصدا الحج، وطالبا العلم من بلدي قنورية" (55) ويفيض في التحدث عن لحظات الدواعي الحري، وموقفه المحزن الذي طاشت له ألباب الأحباب، وذكر قطعاً من الشعر تناسب المقام، بعضه للرحالة وآخر استشهد به (56).

ومن الأمور التي بنيت عليها الرحلة أن يحدد الرحالة تاريخ خروجه من كل مدينة، وتاريخ وصوله إلى المدينة الأخرى، وفيما بين ذلك يصف لنا مشاعره وما يعتريه من إحساس إزاء الطريق، ومصاعبه الطبيعية وغير الطبيعية، كما يصف لنا كل ما يمر أمام بصره، فيتحننا بصورة طبيعية جميلة للجبال والأنهار التي يصادفها في طريقه، ويصف لنا ما يحدث له مع الأشخاص الذين يلتقي بهم في الطريق، كما يسجل الأحداث التي يتعرض لها، وخاصة تلك التي ناله فيها من اللصوص شر كبير، وقد أشرنا إلى بعض ذلك منذ قليل. وحين تطل عليه المدينة يذكر تاريخها ويصفها وصفا أدبيا رائعا، وفي هذا المجال يوغل صاحب "مستفاد الرحلة والاغتراب" في تاريخ مدينة القاهرة الزاهرة وهو يطل عليها، فيتوقف مليا عند نشأتها ومؤسستها ومعالمها وحضارتها والأعلام الذين اشتهروا بها، وعندما يدخلها يزيد كل ذلك تفصيلا وشرحا مقدما وصفا داخليا شائقا، يقبل بعدها على العلماء والأئمة للأخذ عنهم (57).

ونعود إلى رحلة البلوى التي يطغى عليها الطابع الأدبي والعلمي أكثر من طغيان الجوانب التاريخية والجغرافية، فهو يقدم لنا المدينة في وصف أنيق، يسجل معالمها الخارجية والداخلية من جبال تحيط بها أو نهر يشقها، وعندما ينتهي من ذلك يأتي إلى العلماء، فيمنحهم حيزا غير قليل من رحلته؛ ووصفا لهم وتقريراً لمودته نحوهم ذاكرا كل من أخذ عنه، والقيمة العلمية التي حصل عليها من ذلك، وأنواع الإجازات التي

منحت له منهم، ثم بودعهم وداع الأحبة ملتاعا من فراقهم ويؤرخ لذلك جيدا ثم ينطلق في رحلته لتدور المعجزة بمثل ما بدأنا به منذ قليل، جرى ذلك في طريق الذهاب والعودة معا. وفي أثناء هذا التسجيل الدقيق لمراحل الرحلة، لانعدم صورا لنفسيته وهو يدي مرحا وفرحا أو وهو يشعر بالضيق والاختناق؛ إذ ينطبع كل ذلك على وصفه للأشياء والمناظر، مما كنا عاجلناه في الصفحات السابقة. وقد حسب الرحلة أشعارا كثيرة، منها ما جاء يلي حاجة المناسبة ألفه الرحالة نفسه أو جاء به من الشعر العربي، ومنها ما جاء على سبيل إفادة الأصحاب بما جلبه معه من المشرق، كما فعل مع صديقه الرحالة القاضي أبي إسحاق النميري "فيض العباب" حيث طلب منه في أثناء لقائهما بقسنطينة بعض ما حصل من القصائد والأشعار، وأعجب خاصة بقصيدة لشهاب الدين التلعفري (58)، ويظل ينشده الأشعار على مدى صفحات طوال (59). ويبقى بعد ذلك أن نعرف أن أسلوب الرحلة قد بني على ما درج عليه الكتاب في ذلك العهد من ركوب التيار البديعي وزخرفة الألفاظ والولوع بالتشخيص، وقد راوحت سجعاته بين الطول والقصر، وجاءت ثقيلة مصطنعة حيناً، خفيفة ذات تناغم موسيقي وجاذبية أحياناً.

- **بنية الرحلة داخل المغرب:** يشترك ابن الخطيب والتحاني وأبو إسحاق النميري في الرحلة داخل المغرب، فكتب الأول "نفاضة الجراب" التي انساح فيها داخل المغرب المريني، وارتحل الثاني صحبة أحد الأمراء الحفصيين من تونس إلى طرابلس. واما الثالث فقد ارتحل أولاً إلى شمال المغرب المريني صحبة أبي الحسن، ثم اصطحب ابنه أبا عنان في غزوته لأقطار المغرب الأخرى وترك لنا رحلة ما تزال مخطوطة هي "فيض العباب" (60). وتمثل لهذا النوع من الرحلات بدراسة بنية رحلة التحاني، فهي تقترب من "نفاضة الجراب"، وكذلك من "فيض العباب" ولكن الأولى تفوقهما بتوفر عناصر الرحلة فيها. من الصفحة الأولى يبين لنا التحاني طريقة تناوله للمعلومات في هذا التقييد فهي رحلة سياحية، وتفقد للآثار والمعالم التي يتوفر عليها القطر الحفصي على طول امتداد الشريط الساحلي من الشمال إلى الجنوب؛ افتتحها بخروجه من تونس

صحبة الركاب الأميري آخر جمادي الأولى عام ستة وسبعمائة، وفيما كان الموكب يقصد الحج أشاع الأمير توجهه إلى جربة لتخليصها من النصارى(61) ولما وصل الموكب إلى طرابلس ترك الكاتب أميره وعاد إلى تونس. وقد ألزم الرحالة نفسه بخطة بنى عليها رحلته فيها كثير من الإغراق في المعلومات التاريخية، وإن لم يكن ذلك علم حساب ما يشاهده من معالم أثرية وعادات اجتماعية لسكان المناطق التي مرّ بها الموكب، كما سجل لنا كثيرا من الخرافات التي يعتقدونها هؤلاء السكان، غير غافل عن إيراد الرسائل التي تصله من أصحابه وأهله مسجلا أشعارا كثيرة تبادلها مع أصحابه. ولكنه مع ذلك أغرق في سرد المعلومات التاريخية عن كلّ مدينة يصلها، ويمتد به السرد إلى الماضي السحيق، ويأتي متدرجا حتى حاضر المدينة مستعرضا الأحداث الجسام التي عرفتها والملوك الذين مروا عليها. ثم ينتهي إلى وصف شوارعها ودورها(62) مقتربا كثيرا مما ذكرناه منذ قليل في رحلة التجيبي، وفي طرابلس نجده يذكر مساجدها ومدارسها وطريقة التعليم فيها، والكتب التي يقوم الطلبة بدراستها، وأشهر علمائها وفقهائها. ويتطرق إلى معلومات أخرى مثل قوت أهل المدينة، والأحاديث التي تبادلها مع العلماء والأدباء والرسائل التي تلقاها هناك(63).

وقد تميزت هذه الرحلات الداخلية سواء لدى التجاني أو ابن الخطيب، بإحتوائها على عدد من الرسائل الإخوانية، بل إن نفاضة الجراب قد تضمنت رسائل ديوانة ومقامة، وأما الشعر فكان مادة أساسية في تلك الرحلات لا تخلو منه الصفحات القليلة. وفي رحلة التجاني مثلما في نفاضة ابن الخطيب أو في الرسائل التي جاءت في الرحلتين، يبي الأسلوب على الإرسال والسهولة ولم يتكلف أصحابه السجع وغيره من ألوان البديع والبيان إلا ما جاء عفو الخاطر.

الهوامش والإحالات:

- 1- كتب اليرامج أوالفهارس هي التي اعتنى فيها أصحابها بإبراز جوانب من حياتهم العلمية كذكر شيوخهم والكتب التي درسوها عندهم، وطرائق التدريس التي أخذوا بها هذه الدروس.

- 2- تاج المفرق البلوى 141/1
- 3- المصدر نفسه 143/1
- 4- المصدر نفسه 142/1
- 5- رحلة ابن بطوطة 32/1
- 6- في المتن منعها ولا تستقيم العبارة بما أرادها الكاتب من تلوين بدعي
- 7- تاج المفرق 164/1 165
- 8- نعمه يعني السلسلة الجبلية التي تقع
- 9- تاج المفرق 147/2 148
- 10- تاج المفرق 165/1
- 11- تاج المفرق 157/1
- 12- عالم مغربي.. أنظر ترجمته في الإحاطة 239/2 13- رحلة التجاني ص 164
- 14- 15 Mélanges d'Histoire Et de Voyages P. 225 - أنس الفقير ص 105
- 16- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 25 ريحانة الكتاب 248/2
- 17- ترجمته في: نيل الابتهاج 75 أنس الفقير وعز الحقير ص: ب
- 18- رحلة "فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينية والزاب" مخطوط أجزاء منه في الإسكوريال وجزء في المكتبة الملكية بالرباط (3267) عن ورقات من الحضارة المغربية ص 40
- 19- عن حملة أبي الحسن المريني والد أبي عنان أنظر كتاب العبر 7/ 557 575
- 20- A-L-de Premar Les Notes de voyages d'Abou-Ishak El Nomyri- P.31-37
- 21- شرع د. محمد الحبيب بالخوجة في تحقيق أجزائها، وأخرج جزأها الثالث الخاص بالإسكندرية عند الورود.
- 22- من المعروف أن الرحلة حفلت بكثير من المبالغات والخرافات مما جعل عددا من العلماء المعاصرين لابن بطوطة يطعنون فيها مثل ابن الخطيب وابن خلدون المقدمة 2/ 675
- 23- حققها ابن تاووت الطنجي، ولكن هذه الطبعة نافذة وقليلة الانتشار ولذلك فقد ارتأيت الاعتماد على طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت 1975
- 24- ألف الكاتب كتابين في الحديث النبوي هما: السنن الأبين والموارد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المنعنع وإفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح للبخاري وقد طبعها معا بتونس.
- 25- Renan - Mélanges d'Histoires et de voyages P.298-300
- 26- أنظر: أبو الفضل التجاني كما يصوره ابن رشيد في رحلته - رحلة التجاني 167، 195، 222، 226، 283، 291 والتعريف: 112، 130، 137، 149، 158، 167، 282، 298، الخ...

- 27 - رحلة التجاني ص 129، 147 التعريف 73، 80، 89، 142، 250، 355 تاج المفرق 47/2
- 28 - تاج المفرق 1/192، 210، 212، 231، 261 8/2، 70، 93، 121 أبو الفضل التجاني كما يصوره ابن رشيد.
- 29 - رحلة التجاني 88، 117، 130، 140، 151، 164، 191، 198، 227، 285، 303 تاج المفرق 14/2، 25، 26، 33، 66، 92، 114 التعريف 112، 282، 299
- 30 - التعريف 128
- 31 - مثل أحمد بن عاشر أنظر: أنس الفقير وعز الحقير ص 9
- 32 - متصوف كبير تزعم طائفة من أتباع أبي مدين شعيب ترجمته في أنس الفقير ص 66
- 33 - أنس الفقير ص 70
- 34 - قيل إن أبا عنان عاتب ابن بطوطة عن عدم سعيه إلى لقائه في المرات السابقة فاعتذر ابن بطوطة بأنه أعجب بمدرسته وكان لم يزر السودان بعد، فقرر الذهاب إلى هناك لعله يجد لها نظيراً لكنه لم يجد فهي أعظم مدرسة رآها في رحلته، فضحك أبو عنان وطلب منه ذكر ذلك في رحلته.
- 35 - رحلة ابن بطوطة 1/30
- 36 - المصدر نفسه 2/755
- 37 - تاج المفرق 2/113
- 38 - المصدر نفسه 2/113
- 39 - النثر الفني في المغرب والأندلس، عبد العزيز بومهرة - رسالة ماجستير مخطوط دمشق 1984 ص 240
- 40 - تاج المفرق 2/113
- 41 - المصدر نفسه 2/116، 117
- 42 - محمد المنوني ورفات من الحضارة المغربية ص 75، 76 عن: فيض العباب ص : 83، 92
- 43 - التعريف 57 وما بعدها
- 44 - المصدر نفسه 69
- 45 - المصدر نفسه 70
- 46 - صالح المغربي الترجمة الذاتية وفن الرحلة عند ابن خلدون ص 81
- 47 - كانت دولة بني عبد الواد (الزيانية) الحلقة الأضعف في ذلك العهد بين خصمين قوين: الحفصيون في تونس والرينيون في فاس
- 48 - التعريف 110-112
- 49 - المصدر نفسه 106-107
- 50 - المصدر نفسه 104
- 51 - صالح المغربي، الترجمة الذاتية وفن الرحلة ص 81

- 52- الحاجوي د. محمد طه : ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياحة ص 93
- 53- حسين د. حسني محمود : أدب الرحلة عند العرب ص 101
- 54- لم يعرف منها غير الجزء المحقق حتى الآن، وهو عن مصر عند الورود
- 55- تاج المفرق 143/1-144 تاج المفرق 144-143/1
- 56- المصدر نفسه 144/1-145
- 57- انظر مثلاً ما فعله حين وصل القاهرة، مستفاد الرحلة والاعترا ب 168/1
- 58- تاج المفرق 121/2، 140 59- المصدر نفسه 121/2-144
- 60- سبق الحديث عنها في الصفحات السابقة. 61- رحلة التجاني ص 4
- 62- الرحلة 237-238 63- المصدر نفسه 239-306

- المصادر والمراجع :

البلوى: أبو البقاء خالد بن عيسى (825هـ) - تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، صندوق إحياء التراث العربي مطبعة فضالة، المغرب د ت

التبكي: أحمد بابا (11هـ) - نيل الابتهاج بتطريز الديباج. دار الكتب العلمية - بيروت -

الحضرمي: أبو عبد الله محمد بن بكر (8هـ) - السلسل العذب والمنهل الأحلى تحقيق: محمد الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية

ابن خاتمة: أحمد بن علي الأنصاري الأندلسي (770هـ) - ديوان ابن خاتمة - تحقيق د. محمد رضوان الداية، منشورات دار الحكمة - دمشق 78

ابن الخطيب: أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله (776هـ) - الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة 77

- الكتيبة الكامنة تحقيق د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت 1966

- اللوحة البدريّة في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، تحقيق د. أحمد مختار العيادي مطبعة جامعة الإسكندرية 1958

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (808هـ) مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، طبعة لجنة البيان العربي القاهرة 1968 ط2

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني بيروت 1979
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأكبر دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت 1959

ابن خلدون : أبو زكريا يحيى بن محمد (780هـ) - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني
عبد الواد ج 1، تحقيق عبد الحميد حاجيات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
1981

الزركلي : خير الدين - الأعلام قاموس تراجم دار العلم للملايين، بيروت لبنان
ط 7 1986

كنون : عبد الله النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت
1975

مخلوف : محمد بن محمد - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب
العربي، بيروت د ت

ابن مرزوق : أبو عبد الله محمد بن محمد (781هـ) - المسند الصحيح الحسن في تأثر
ومحاسن مولانا ابن الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغراش ون ت الجزائر 1981

ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد - البستان في ذكر الأولياء والعلماء
بتلمسان، مراجعة ابن شنب، المطبعة الثعالبية الجزائر 1908

المقري : أحمد بن محمد (1041هـ) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار
صادر - بيروت 1968

المنوني : محمد - التيارات الفكرية في المغرب المربي، دار الثقافة، الدار البيضاء
النبهاني : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (ق 8هـ) - المرقبة العليا

فيمن يستحق القضاء والفتيا حققه ليفي بروفنسال تحت عنوان: تاريخ
الوزان : الحسن بن محمد - وصف افريقيا، ترجمة د. عبد الرحمن بن حميدة. جامعة
الإمام محمد بن مسعود. الرياض 1978